قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

بقلم فاضل العزاوي

***

بدأت « الآداب » عددها الاخير ـ الثاني عشر ـ بالدعوة الى التجدد والتفتح على الطاقات الثقافية العربية الجديدة والسعي لتقديم فكر ثوري ذي أبعاد حضارية ، والابتعاد عن القوالب الجامدة التي قد تؤدي الى الاضرار بوعي الانسان العربي وموقعه الجديد في العالم . ان مثل هذه النظرة مهمة في نظرنا ، ذلك لاننا نعتقد ان الثقافة المحنطة غير القادرة على توسيع آفاقها باستمرار لن تكون قادرة على اضاءة الواقع الانساني . لقد قام الجيل الادبي السابق الذي التزمته الآداب منذ اعدادها الاولى بالتعبير عن مشاكله وهمومه وطرح رؤياه للاشياء والعالم الذي نعيش فيه . قال كل ما كان يريد ان يقوله وخاض حربه الخاصة التي كانت مقدمات اولية للحرب التي ينوي الجيل العربي الجديد الذي ولد في خضم تجارب سياسية واجتماعية وحضارية عنيفة ان يخوضها ببسالة ، لا من أجل كسب واقعة او واقعتين من هذه الحرب ، وانما من أجل بناء وطن لا نخجل من الانتساب اليه وصياغة انسان عربي متحرر من امراض قرون التحنيط والايديولوجيات اليائسة التي عجزت عن تحرير الانسان العربي من اغلاله .

اذا كان الجيل السابق الذي لعب دورا تاريخيا مشرفا قد انزلق من رحم الجيل القديم المكثف بكل مثاليات الوعي العشائري والبدوي للوطن والامة والعالم والانسان فانه قد حمل معه في الوقت ذاته كثيرا من مثاليات الجيل القديم وامراضه . وحتى عند قيامه بدوره التاريخي كان يتحاور مع العالم القديم بنفس اساليبه وافكاره او على الاقل بنفس طريقة تناوله للامور . ألم يكن السياب يقول للشعراء التقليديين ان القصيدة الجديدة تختلف عن القصيدة القديمة بعدد التفعيلات ؟ ألم نكن نبحث عن مبررات شكلية في الماضي التليد لاقدس قضايانا المعاصرة ؟ لقد كان الجيل الذي سبقنا خطوة في اكتشاف وجهنا الحضاري والانساني . حقا انها كانت خطوة رائدة ولكنها مع ذلك خطوة واحدة .

اما الجيل العربي الجديد الذي يعي اليوم وبشكل قوي عذاباته ، حريته ، مواقفه ، فانه يطمح ان يسير بالشوط حتى النهاية ، لا عن طريق محاورة العالم القديم وانما عن طريق هدمه بعد استخلاص كل العطاءات الحضارية التي اثبتت قدرتها على البقاء فيه وبناء عالم جديد يمنح الانسان العربي الكثافة التي يفتقدها . ان الصوت العربي الجديد المنبثق من فوهات بنادق المحاربين ، من وعي حركة تطور الامة ، من الكشوفات العلمية للعصر ، من التجدد والتجاوز المستمر ، من المظاهرات المطالبة بالخبز للشعب والحرية للجماهير والوحدة للوطن ليس منبئا بالمخاض فحسب : انه الصوت الذي يضيء المستقبل المفقود ويحدد موقعنا الجديد في العالم بثقة تامة ولكن بدون ادعاءات زائفة .

ان « الآداب » الجديدة ستكون قادرة على مواصلة نفس خطها السابق الرائد عندما ترتبط اكثر بالمعطيات الجديدة للثقافة العربية والتجارب الادبية الاكثر انفتاحا والاعمق وعيا والتي قد تواجه بعض المقاومة ليس من الجيل المحافظ فحسب وانما من الجيل الذي قام بدور ريادي ايضا .

من اجل كل هذا نقيم الموقع الجديد لمجلة « الآداب » والذي نعتقد انه سيكون ذا خطورة خاصة .

***

في العدد الماضي من الآداب ثلاث دراسات سياسية ذات علاقة بالصراع الذي يخوضه العرب ضد المحتلين الاسرائيليين . فالدراسة الاولى (بوق الصهيونية والعدوان) ، وهي في الحقيقة مقال صحفي عن السياسة الاعلامية لراديو اسرائيل ـ تفضح الروح العنوانية والتضليلية الكامنة وراء مخططي سياسة الحرب النفسية ضد العرب في اسرائيل . ويورد الكاتبان السوفياتيان ي. شرايبر وم. كوسوف امثلة على الاكاذيب الملفقة التي توجهها محطة الاذاعة الاسرائيلية الى يهود الارض المحتلة والعرب والعالم . كما يفضح الكاتبان الحملة المعادية التي شنها الراديو الاسرائيلي ضد الاتحاد السوفياتي ، مثيرا ستارا من الاضاليل حول واقع حياة اليهود هناك ، وقد رافقت هذه الحملة حملة صهيونية عالمية شاركت في اثارتها صحف ومجلات امريكية عديدة في الاشهر الاخيرة مثل مجلتي تايم ونيوزويك الامريكيتين . وعلى الرغم من ان هذا المقال الصحفي لا يخلو من فائدة الا انه لا يصلح في نظري للنشر في مجلة شهرية تهتم بالقضايا الفكرية مثل « الآداب » . ان صحفنا السياسية اليومية تزدحم بعشرات التعليقات المشابهة واعتقد ان هذا المقال الصحفي منشور في الاصل في احدى الصحف اليومية. ترى ألم يكن من الافضل لو قامت المجلة بتكليف بعض رجال الاعلام العرب بكتابة دراسة مفصلة علمية ودقيقة عن سياسة راديو اسرائيل ، برامجه ، الاغاني التي يذيعها ، المخطط النفسي ، الاهداف التي يتوخاها ، ومدى استماع المواطنين العرب لهذه المحطة ؟ ان تقديم مثل هذه الدراسات يمكن ان يساعد الاذاعات العربية ذاتها في اختيار اللغة التي تخاطب بها الجماهير . لقد هبطت سمعة اذاعة اسرائيل الى الحضيض بعد ان بدأت تزيف الحقائق بشكل مكشوف ولا تذيع الا ما هو أقل من ربع الحقيقة . ولكن هل افلحت الاذاعات العربية بالمقابل في اكتساب ثقة المستمع العربي على الاقل ؟ مما لا شك فيه ان موقع الاذاعات العربية اليوم افضل مما كانت عليه قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ غير انها ما زالت عاجزة عن كسب الثقة النهائية للمستمعين . ثمة حقيقة اعلامية لا يمكن نكرانها وهي انك اذا اردت اسماع صوتك لمليون شخص وليوم واحد فقط فاطلق كذبة كبيرة . اما اذا اردت اسماع صوتك للناس دائما فلا تقل سوى الحقيقة . ان هدم الثقة بما يذيعه راديو العدو من اضاليل واكاذيب ضروري جدا ولكنه ليس كافيا اذ يجب في الوقت ذاته ان نثبت امام العالم ان صوتنا هو صوت الحقيقة .

ثمة وهم في هذا المقال لا بد من الاشارة اليه وهو ان الكاتبين يعتقدان ان سبب هذه الدعاية التي تخدم مصالح الامبريالية العالمية هو (ان حكام اسرائيل وضعوا بلدهم في خدمة الاستعمار) و (انهم لم يوجهوا انتباههم الى عذابات شعبهم الذي يستغل على يد عصبة من الاثرياء) . وبصيغة اخرى فان الكاتبين كما يبدو لي يدعوان الى اسرائيل متحررة من سيطرة الامبريالية العالمية ، تقدمية ، ومعادية للتوسع والعدوان . لقد اكتشف الروائي العظيم دستويفسكي زيف هذه النظرة منذ عام ١٨٧٧ عندما اكد في الدراسة الرائعة التي نشرتها الآداب في نفس العدد الماضي بعنوان (القضية اليهودية)) على (انه

ـ التتمة ـ على الصفحة ـ ٨٤ ـ

القصائد

بقلم زكي الجابر

***

— ١ —

مهمة الفكر والادب تغيير العالم .. تلك مسلمة نؤمن بها ونسعى من اجل تثبيتها مفهوما يتحدد في ضوئه العمل الشعري . ولقد حاول شعراء العدد الماضي من الآداب « جميعا » ان يساهموا في هذا اللون من النضال الانساني على درجات مختلفة من التجديد والابداع .. البياتي يود ان « يقتل هذا الليل بصرخات حبنا المصلوب تحت الشمس » ، والركابي يأتي وعلى شفتيه « اخضرار البشارة » ، ودنقل يرقب الامواج « دون ان تكف عن صراعها اليائس » ، والناعم « يمضي الى الاغوار يتبع الشهادة » ، والخافاني لم يبصر في الفارس « رياحا تنحني » ، والنجمي له « غابة ثاره » ، وعزيزة « تسمع الرياح عبر الاردن تأتي بالبشارة » ، وغالي يود « ان يفجر قطار الشمس » ، واخيرا بندر عبد الحميد يعبر عما في نفوس الاطفال ويقول « جئنا .. ولكن غفرانك ان نحن تأخرنا » .

ان ارادة التغيير متوفرة عند هؤلاء الشعراء .. ولكن هل كانت اداتهم بمستوى التغيير ؟

ان المخاض الذي مر به الشعر العربي اسفر عن الكثير من المزق المشوهة .. واننا بتنا نفتقد دهشة الفرح واصبح عسيرا تلمس توهج الذهب امام التماع اكوام النحاس .. ومع الاعتذار لسارتر ففي دنيا الشعر كما في المسرح .. وكما في الحب « اصعد او تدحرج » .. وما اكثر المتدحرجين !

ان اعتمادنا ارادة التغيير لا يعني باي حال اغفالنا المقاييس الادبية ، مع الاعتراف الكامل بالرأي الذي يذهب الى ان استعمال هذه المقاييس واصدار الاحكام النقدية وكشف الانفعالات الجمالية امور تتأثر بخبرات الناقد وتجاربه النفسية ..

— ٢ —

حاولت ان ادرك ما يريد الركابي بقوله :

« اتيت :

نواء الجذور

مخاض انتظار على شفتين ..

وحاولت ان اتقرب الى الصورة التي ارادها الخافاني بقوله :

(انت تأتي

تتهجى صدف الموت ، وتبكي)

وكيف يتهجى الانسان صدف الموت .. ولماذا وضعها في سطرين ، انني لا ارى غير تخليط .. وازعم انها ليست اوتوماتية نفسية صرفة جرى التعبير عنها بالكلمات .. فما اراده بريتون بلا شك غير هذا الضرب من الكلام .

وعندي ان البياتي شاعر أصيل .. ولكنه افتقد صوته منذ ان فارق العهد الذي كتب فيه (ملائكة وشياطين) ، فقد ودع عبد الوهاب مع ديوانه هذا انسجامه مع نفسه والتقاء فكره مع ذاته .. وظل تائها يقتبس النار في صقيع موسكو ، وينتظر طويلا على ابواب مدريد ، ويبكي الحلاج من اعلى اهرام خوفو .. فهل يعود البياتي الى نفسه حين يعود للكتابة على قبر السياب ؟. ولقد قرأ السياب اسمه من قبل على صخرة ... هنا في وحشة الصحراء .. على آجرة حمراء .. واحس بما يحس به الانسان العربي حين يرى قبره ...

لقد عاد البياتي الى طفولته كما عاد من قبل نيرودا الى طفولته على ضفاف نهر بيوبيو .

ولكن حدثني يا بيوبيو

ان كلماتك هي التي تنزلق في فمي

فلقد وهبتني النطق والغناء — الليلي ،

هذا الغناء الممزوج بالمطر والاوراق

لم يرني احد وانا طفل ،

ولكنك انت كنت تقص عليّ

حكاية بزوغ النهار من الارض

عاد البياتي يصيح تحت الطاق « بغداد يا بغداد » ولم نجد جواب ندائه كما وجدنا جواب الخليج للسياب حين صاح :

يا خليج يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى

فيرجع الصدى

كأنه النحيب

يا خليج ....

مفهوم واحد كان على البياتي ان يسقطه من قصيدته وهو قوله (نبدأ حيث تبدأ الاشياء) ففي اعتقادي ان هذا الضرب من الكلام الفلسفي لا ينسجم مع عفوية القصيدة وانطلاقها البريء وزائحتها الطفولية .

وآه لو عاد عبد الوهاب الى دنياه الاصيلة وتكون البداية هذه الكتابة على قبر السياب !

***

امل دنقل هو ذلك الشاعر الذي لونه المحبب ، بسماته الانسانية وكل ما تحمله مدرسة التظرف في الادب والنقد من تفاؤل يائس او يأس متفائل ..

وامل في (صفحات من كتاب الصيف والشتاء) هو ذاته الذي طالما ضحى بالشكل في سبيل المحتوى .. ترى اي ناقد يحترم اللفظة وجرسها يستسيغ ان يقرأ .

كان « ترام الرمل »

منبعجا — كأمرأة في اخريات الحمل

غير ان أمل يستطيع ان يفرض الاحترام في قصيدته هذه وغيرها بسبب من طرفه المصرية المحببة .. انه شاعر له لونه الفريد المميز .

والناعم عبد الكريم في قصيدته « جميل يمضي الى الاغوار » .. يرجع بي الى « حسن التخلص » الذي اهتز له قدماء البلاغيين . لقد انتهى زمن « حسن التخلص » وجاء عهد « الترابط العضوي » ، وكان على عبد الكريم ان يمضي الى الاغوار بلا مقدمة طويلة تحمل روح الشاعر الذي امتدح مطيته طويلا لانها حملته الى الخليفة الممدوح .

وفي قصيدة السيد طالب غالي « اليمامة وبستان الليمون » .. اندفاع المؤمن وحماس الشباب .. وارادة الثورة.. ولكن تنتصب امامنا المقاييس الادبية ، فالقول :

تفجر في دمي بركان

تفجر .. (جر)

في دمي بركان

يفتقد سلامة اللغة .. كما يفتقد سلامة المعنى التي تترتب على سلامة اللغة .

— ٣ —

والى أولئك الذين لم اتحدث عنهم تحيتي فقط .

بغداد — زكي الجابر

منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجقدار

القصص

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

***

ـ ١ ـ

ليس ما ينشر في « الآداب » عن فلسطين من قصص (وشعر ..) على المستوى المناسب للقضية ، وقد يفترض القارىء ان تقدم لـه الآداب قصصا (وشعرا ...) أعلى مما يقرأ اذا ارادت ان تقرن القول بالفعل ، وبذلت جهدا اكبر ، وافرت مفهوما أرصن وتعاملت مع أقلام امتن والتزمت نهجا انصع ـ ولا شك في أنها شاعرة بذلك ، ولا ادل من افتتاحية العدد الماضي . ان القارىء العربي يطمع ان تكون لـه مجلة أدبية ، وقد شجع صدور الآداب عام ١٩٥٣ هذا الطمع .

والقصص العربية في العدد الماضي ثلاث ، موضوعها واحد : فلسطين ، وان شئت ملامح من الفداء . وهذا جميل جدا ، ولكنه يستدعي الحذر الفني والخوف من ان تستحيل فلسطين ويستحيل معها الفداء شعارات ومطايا ومعابر ، يكفي أن يلج كاتب بابها ليقول اني اسهمت في المعركة ويجد الناشر والقارىء ..

ان الموضوع اذا كان مثل فلسطين حمل الكاتب مسؤولية كبيرة ، وجعل طريقه شائكة لان المعروف منه كثير : مادة وفكرا وعاطفة ... وسياسة ، وهذا يوجب على الكاتب ان يكون ابعد من المعروف الشائع ، واصدق واعمق من اصحاب الصحف والاذاعات ووكالات الانباء : ان يعيش فلسطين ، والا كثر الافتعال ـ وهو ما يحصل .

واذا كان هذا واجب الكاتب ، فان كثيرا من الكتاب يهمهم النشر بأي ثمن ، وارخص الثمن الضرب على الوتر الذي تضرب عليه المجلة ، والمناداة بالصوت الذي يرفعه رئيس التحرير ، ومن هنا تصبح المسؤولية على رئيس التحرير اكبر مما هي على عاتق الكاتب الاديب والمتأدب .

وقد تكون مسؤولية مجلة كالآداب اكبر من مسؤولية غيرها من المجلات ، ولا يعفيها الا تجد ما ينشر فتنشر ما تجد .

ـ ٢ ـ

تجري قصة « الصورة » في الباص ، يرويها شخص يحك جلده والبثور المنتشرة عليه بأظافره الطويلة ، ويصعد في احدى المحطات فدائي عاد من الجبهة في اجازة ويحمل نسخا من بيان المنظمة عليه صورة . ويصعد من محطة اخرى شيخ اعرابي عجوز له ابن جندي في الاردن . ويجري حديث بين الشيخ والفدائي ، ويعرف الشيخ من الفدائي ان الصورة هي « صورة فدائي شهيد » و « يغمره ذهول غريب ... وينفجر في بكاء مرير وقد ضم صورة الشهيد الى صدره بحنان ... : أويلاخ عليك ... وجنبك وليدي خضير » .

ثم ينزل الشخص الراوية من الباص .

ـ أهذه قصة ؟

ـ لا . واذا نظرت في اجزائها وجدتها قد جمعت اعتباطا ورقعت ترقيعا . ولقد اطال الكاتب في كثير من اجزائها هذه لغير داع : وصف الباص والجابي والقصر الابيض والمستشفى وعمارة سلمان وادي دون اية حاجة الى ذلك ، فكتب ـ بذلك ـ ما يقرب من ثلث القصة قبل ان يصعد الفدائي الى الباص ، ثم ما الصلة بين ذلك الوصف وهذا الفدائي ، لقد كان وصفا مجانيا . هل الوصف غاية ؟ الوصف الخارجي الذي لا تجد له رابطا بالامر الداخلي للراوي ذي البثور ولا بموضوع الفداء . وهذا يؤلف مصدرا مهما للجفاف المسيطر على القصة .

اما المصدر المهم الآخر فلان صميم الحدث ليس حيا ولا يصلح لان يكون مدار قصة ، ومن هنا كان متكلفا وكان باهتا . ولم يعمل المؤلف حتى ان يجعله ذا مغزى من نوع ما يفعل المعلمون وهم يقصون على اطفالهم حكايات تشجيعية تربوية كأن يجعل من الشيخ العجوز مثالا للرجولة والتضحية اذ يفخر بابنه الذي يتحفز لحرب الاعداء فيمتلىء بشرا ويفيض حماسة لا ان ينفجر في بكاء مر ويقول : « أويلاخ عليك »ـ وما كان يكون لو فعل ذلك بعيدا عن الواقع او ما يمكن أن يبدو واقعا .

ولم تكن لفة القصة وطيدة في بابها . وقد وردت لفظة «الكاكية» وهي مصرية ، ويقول العراقيون : الخاكية ، ووردت « خربشة جلدك » والذي يقال في العراق : كرد جدك (أو هرش ...) .

وأجرى المؤلف على لسان القروي العجوز ما ليس من مألوف تعبيراته كأن يقول : « اروح لكم فدوة » وهي من مألوف تعبيرات النساء ، ومنها او قريب منها قوله : « ابني ... زغيرون » ...

لقد عجل الكاتب وكان المناسب ان يترك التجربة مدة كافية لتخميرها ـ او لامتحانها ـ وان يعيد النظر فيما كتب قبل ان يبعث به الى النشر .

أكان ضروريا ان يكتب يوسف الحيدري هذه القصة وان ينشرها ؟ لقد كتب قبلها قصصا جيدة وكان له في مجموعته : حين يجف البحر، ورجل تكرهه المدينة ما يستجاد ويستلطف ويختار . ارجو الا تدخل « الصورة » في مجموعته الثالثة المنتظرة .

ـ ٣ ـ

وجاءت قصة « الصوت والصدى » بقلم رشاد ابو شاور على لسان فلسطيني فدائي يعبر الحدود من الاردن الى سورية للتدريب .. وكان المعسكر خيمة واحدة .

حاول كاتبها أن يتفنن بأن يقطع السياق باستذكار الماضي : « ولدت في قرية ... قرب الخليل ... » ولكن القطع جاء طويلا ادخل بالجغرافية الاجتماعية . وظهر القسر عليه .

وتنتهي من القصة كمن قرأ اثرا لا روح له ولا حياة . وتسائل عن سر الكتابة ، وسر النشر واذا وجدت ما يسوغ الكتابة لم تجد ما يسوغ النشر .

يحاول المؤلف ان يفهم القارىء انه فلسطيني ، فان صح ذلك ، تضاعفت مسؤوليته وطولب بالحرارة والجدة والعمق والا فالذي قاله يمكن ان يتهيأ لاي قائل .

ولكن « الصوت والصدى » خير من « الصورة » ـ اذا كان لا بد من المقابلة .

ـ ٤ ـ

اما قصة « موت الرجل الذي سبق موته » فجيدة جديرة بالكتابة والنشر والقراءة ، لما تعكس من عمق الحالة النفسية لبطلها ، ولما تدل عليه من الاناة التي بذلها الكاتب في صوغها ، ولما تبين من حسن التصرف والقدرة على التفنن ... والظهور بمظهر رصين من النمط الجديد .

الحالة النفسية هي أسى وأسف منبثقة من نفس المؤلف وصالحة للانتقال الى نفس القارىء لما تخلق من جو تحيطه به ولما توحي اليه من ثقة بأن الكاتب قريب من التجربة ـ أو انه يستطيع ان يبدو قريبا جدا من التجربة .

وتطلب تلخيصا ، ولا تلخيص ، لانها ليست قصة احداث قدر ما هي قصة مشاعر ، وقد عمل الكاتب على ان يتنقل بين الصور ويروح ويغدو فيغير في النغمة ويبعد عن الملل . ان فيعمله كثيرا من التعقيد ولكنه يبدو غير معقد ، ومن هنا كان عملا فنيا .

قراءتها مرة ثانية (وربما ثالثة) . فقد يمر بها قارىء فيراها اعتيادية

هذا اعجاب عام ... ولكن القصة ليست سهلة ، ولا بد من وقد يرميها بالقصور . انك ان تركتها بعد القراءة الاولى فان حكمك

ـ التتمة ـ على الصفحة ـ ٨٥ ـ

تتمة ـ الابحـــاث

***

من الصعب تصور اليهودي بدون الله . ولا اؤمن بوجود اليهود المثقفين الملحدين . انهم جميعا من طينة واحدة والله وحده يعلـــم ماذا ينتظر العالم على أيدي هؤلاء اليهود المثقفين ! لقد قرأت وسمعت في طفولتي اسطورة عن اليهود بأنهم الآن ينتظرون المنقذ سواء منهم المعدم او الغني والعالم والفيلسوف والرأسمالي ـ فهو الـــذي سيقودهم ثانية الـــى اورشليم وعندها يستعبدون جميع الشعوب بسيفهم) .

انه من الخطأ الاعتقاد بامكانية وجود اسرائيل تقدميـــة او يهـود تقدميين . فمن أجل ان يكون اليهودي تقدميا حقيقيا يجب ان يتخلى عن ربه المثالي وميعاده الخرافي الذي يمتد الـــى اربعين قرنا ، ولكن اليهودي كما يقول دستويفسكي بدون هذا الرب المثالي لا يمكن تصوره. ومن أجل أن تكون اسرائيل تقدمية يجب الا تكـــون هناك اسرائيل او سيطرة لايديولوجية هذه العشيرة العالمية .

ان دستويفسكي بدراسته هذه طرح أمام البشرية قضية هامـــة وهي ضرورة تحرير اليهود من يهوديتهم . ولذلك فانني اعتقد في ضوء هذه النظرة ان المهمة التي تواجه كل التقدميين داخل اسرائيل وقبـل أي شيء آخر هي السعي لتحرير انفسهم من يهوديتهم التي لا تمتلك أي مبرر حضاري لبقائها ، وبالتالي انتفاء الاساس الـــذي ترتكز عليـــه اسرائيل الآن : خرافة الاربعين قرنا .

اما المقال الآخر الذي كتبه هوارد رولاند حول (عدم التفاهم بيـن العرب والاميركان) فهو في الحقيقة ليس اكثر من مجموعة من الملاحظات السريعة ، ذات الطابع الشكلي . فالمستر رولاند يعتقد ان اسباب عدم التفاهم بين الطرفين تكمـن في لا مبالاة الامريكيين تجاه العرب ولكون العرب في اميركا اجانب يلفظون جملة We are Arabs بطريقة غريبة ولوجود ستة ملايين يهودي في الولايات المتحدة . وهـــو ينصح العرب بعدم الاعتماد على اللغة الشاعرية وضرورة اظهار القوة .

انني مع تقديري البالغ لعواطف المستر رولانـــد النبيلة تجـــاه القضية العربية أرى أنه تجاهـــل القضية الاساسية وهـــي سيطرة الايديولوجية الاميركية التي تخطط لها الاحتكارات الامبريالية علـــى اذهان قطاع واسع من الرأي العام الاميركـــي واستمرار التخديـــر الرأسمالي حتى للشغيلة الاميركان . ولذلك فان أي نهوض تقدمي فـــي الولايات المتحدة سيكون الى جانب العرب فـــي المستقبل . واذا كانت القوى الاميركية التقدمية التي تتظاهر ضد سياسة الولايات المتحدة في فيتنام لم تقف الى جانبنا بعد فان ذلك يؤكد حقيقة ان كفاحنا من أجل قضيتنا لم يبلغ بعد مستوى كفاح الشعب الفيتنامي الذي تحول الـــى مأثرة عصرية . ومع ذلك فان القوى المؤيدة للعرب داخـــل الولايـــات المتحدة تتسع يوما بعد آخر . فقد اعلنت مؤخرا عـــدة منظمات طلابية اميركية مساندتها لكفاح الشعب العربي ضـــد المحتلين الاسرائيليين ، بالاضافـــة الى الصلات الطيبة بين العرب الموجودين في الولايات المتحدة وقادة اليسار الجديد . وقد ظهرت هذه الصلات الطيبة بشكل ملحوظ عند انعقاد مؤتمر الطلبة العرب قبل حوالي ثلاثة اشهر في كاليفورنيا .

وهناك خطأ آخر في مقال المستر هوارد رولاند ، فهـــو يعتقد ان الاميركان يحتقرون رجال الحكم وقوانهم في سايغون لانهـــم لا يقاتلون بشدة مثل ثوار الفيتكونغ ، وهو في نظرته هذه يقدم صورة غير دقيقة منطلقة من ذهنية جيمس بوندية لنضال مئات الالوف مـــن الاميركيين الذين انتصروا لقضية الحرية في فيتنام ضد تدخل وجرائـــم الولايات المتحدة هناك . ان الشعب الاميركي عندما يحتقر طغمة سايغون انمـــا يحتقر العمالة المكشوفة وخيانة الوطن حتى اذا كـــان جنود سايغـــون محاربين اشداء . ونحن الذين نتابع نمو الحركة الثورية فـــي الولايات المتحدة باهتمام بالغ نرى ان السنتينات قد احدثت تحولات هامة فـــي صفوف الشبيبة والطلبة والزنوج الاميركان . فاليسار الجديد الـــذي قد يتحول في غضون فترة قصيرة الى قوة كاسحة يرتبـط اليوم باكثر الافكار ثورية ضد الامبرياليـــة والرأسمالية ،وقد اصبح من القوة بحيث يقلق راحة المستر نيكسون .

ان الشعب الاميركي سيكون قادرا على فهمنا بشكل افضل عندمـــا يمتلك السلطة بيديه وينمي السيطرة الرأسمالية والصهيونية علـــى أفكاره . الا اننا لسنا مستعدين لتأجيل قضيتنا حتى يحين ذلك اليوم، اذ اننا سوف نسعى وبكل طاقاتنا لتعميق كفاحنـــا عسكريا وسياسيا وفكريـــا بحيث يستلفت انتباه كل المناضلين من اجل التقدم في العالم.

***

بجمع الدراسة او المقدمة التي كتبها الاستاذ صلاح عبـد الصبور عن شعر علي محمود طه بين الانطباعات الشخصية وتدوين بعض الوقائع التأريخية مع عرض سريع وعلى طريقة النقـاد القدامى لـ (الاغراض) التي كتب فيها الشاعر . وبسبب التزام الناقد بهذا المنهج الشكلـــي في التعامل مع عالم علي محمود طه الشعري فانه أخفق في اعادة تقييم الشاعر وبالتالي كشف الاسس الحضارية والاجتماعية لظهور مثل هذا النمط من الشعر . فالاستاذ عبدالصبور يتساءل ، هـــل نستطيـــع ان نقول ان علي محمود طه شاعر سلفي تقليدي ؟ ويجيب على هذا السؤال قائلا : انه بلا شك شاعر يعيش في عصره .

ترى هل يمكن ان نقبل حقيقة ان علي محمود طه كان يعيش فـــي نفس العصر الذي عاش فيه اندريه بريتون وت. اس. اليوت وجيمس جويس وازرا باوند وكاندفسكي وبيكاسو ؟ العصر الـــذي شهـد أعمق التحولات الفكرية والادبية والفنية ؟ وهل نعني الكتابة عن بعض القضايا الوطنية ان الشاعر عاش تجربة عصره ؟ ان خطيئة علـــي محمود طـــه والشعراء الآخرين الذين عاصروه هي انهم ظلوا أسرى المستوى الثقافي الجماهيري ولم يحاولوا التفتح على ثقافـة عصرهم واستلهام الـروح العاصفة التي كانت تحرك الثقافة في العالم . وما زالت الثقافة العربية تشكو حتى اليوم من التأثيرات السيئة التي تركوها في أذهان الجماهير وخاصة فيما يتعلق بالاقتراب الشعري مـــن العالم . صحيح ان هؤلاء الشعراء احدثوا بعض التغييرات الشكلية في القصيدة ، في الكلمـات، في المواضيع الا ان وعيهم للعالم الذي كانوا يعيشون فيه ظل متأخـــرا جـدا وفي نفس المستوى العاطفي ، ذي الجذور البدوية للجمهور . أعتقد انه كان في امكان الاستاذ صلاح عبد الصبور تقديم تقييم كامـل للمجتمع المصري والعربي وحركة الثقافة والشعر فـــي الوطن العربـي والعالم وتعيين موقع علي محمود طه الثقافي ودوره الشعري في وسط العاصفة التي كانت تجتاح العالم ومقابلتـــه بالشعراء الآخرين الذيـن عاشوا في زمنه ومن ثم تأثيره في الشعراء الذين جاءوا بعده واخيرا الاجابة على هذا السؤال : من الذي يعنيه علي محمود طه الآن ؟

***

اما الدراسة التي قدمها الاستاذ بدر توفيق عن شعر أمل دنقـل (كوميديا القلب المعتم) فهي دراسة تتميز بالاحاطة والخفة فـــي ذات الوقت . فهو يكشف لنا عن الوجه الحقيقي لمعظم قصائد هـذا الشاب الذي يعتبره واحدا من افضل الشعراء المصريين الشبان . ولكن رغـم كل هذا التوسع في الكتابة عن الشاعر فان الناقد لم يقل لنا عما اذا كان الوعي الكوميدي للعالم في قصائد أمل دنقل يعنـي شيئا ذا خطورة في الشعر العربي أم لا . كما اننا ما زلنا نتساءل : هل يمتلك أمل دنقل رؤيا فلسفية خاصة به في شعره ؟ ما هي مدى خطورة هـــذه الرؤيا ؟ وهل انه أفلح في قصائده ان يقدم صوتا جديدا ذا لغـــة شخصية ؟ وكيف يفهم أمل دنقل عملية بناء القصيدة الجديدة والتعامل مع العالم؟

يبدو لي أن أمل دنقل شاعر لا تنقصه النباهة الا انـــه مـــا زال قاصرا عن فهم الديالكتيك الخاص الذي يتحكم بالقصيدة الجديدة . ان امل دنقل غالبا ما ينقل السرد القصصي الى قصائده بالاضافة الـــى التفصيلات النثرية والاوصاف ورسم الجو بصورة تشعرنا اننـــا ازاء

شاعر جيد لا يعرف كيف تكتب القصيدة الجديدة . ان هذا النمط من الشعر الذي يتعامل مع العالم ويتناوله بنفس الطريقة النثرية يهبط احيانا الى مستوى النثر الرديء .

★ ★ ★

وفي العدد عدة دراسات اخرى منها دراسة بعنوان (لماذا يبتدىء الشعر ؟) للاستاذ عزيز السيد جاسم وهي دراسة طيبة تنم عن وعي متطور لعلاقة الشاعر بالعالم ، على الرغم من انه كان على الكاتب توسيع هذا الموضوع المهم مع تحديد الامور بصورة اكثر دقة وتنظيما . الا ان المجرى العام للدراسة صائب ويعبر عن مسعى ثقافي في انقاذ الشعر من الابتذال الدعائي . فهو يرى ان الشاعر (يعمد وبحكم حالات غيابية مرهونة برؤى ثاقبة الى نسيان وجود الاشياء والاشخاص) (ولكن هذا الاختيار ليس اختيارا ما ورائيا او فوق العالم ، انه اختيار في العالم. ومهما تكن انفلاقات الشاعر وصبواته الحلمية او التخيلية فهي مربوطة ابدا بالعالم ، بالماضي والحاضر والمستقبل) وهو يعتقد ان تجاوز الشاعر المستمر يتم عن طريق الرفض الكلي للواقع الفاسد وكاستئناف ضد العالم .

وهناك مقالان نقديان آخران عن ديوان (نخلة الله) للزميلين محمد الجزائري وطراد الكبيسي .. وهما يمتازان بالسرعة . ويبدو لي ان الجزائري قد ورط نفسه بخطأ لم يكن ضروريا عندما اقتبس من كارل ماركس تعريفه للاستلاب « Alienation » : بقدر ما يزيد ما عندك ، بقدر ما يتناقص كيانك ـ معتقدا انه يعني الغربة العاطفية الموجودة في نخلة الله ، والا فان سبب غربة حسب الشيخ جعفر متأت من التضخم الهائل لرصيده في بنوك العالم .

ان محمد الجزائري راح ضحية بعض المترجمين الذين يعجبهم أحيانا استبدال كلمة الاستلاب بالغربة ، الا انهم يعنون بذلك الفقدان . كما ان المقتبسات العديدة التي اوردها الكاتب عن بيرس وماركس وغارودي بدت كلافتات مجردة لا علاقة لها بالموضوع المكتوب عن حسب الشيخ جعفر .

وبالاضافة الى الدراسة المكتوبة عن مجموعة ديزي الامير القصصية التي لم اقرأها بعد ، ثمة دراسة جادة وواعية بعنوان (البطل والخلاص) كتبها محمد شكري ، الا ان عدم اطلاعي على قصته (العنف على الشاطىء) منعني من متابعة رده على السيد سامي خشبة . ومع ذلك فان الدراسة التي قدمها طريفة وجيدة .

استلفت نظري في العدد نفسه ما كتبه السيد محمود فتحي بعنوان (سرقة أدبية جديدة) وتحت باب (مناقشات) اذ اتهم القاص الشاب احمد خلف الذي يبشر بمستقبل طيب بانه قد سرق فكرة قصة (خوذة لرجل نصف ميت) منه وصاغها صياغة جديدة . ان هذا الاسلوب الرخيص الذي بدأ يلجأ اليه بعض مراهقي الادب من الذين يهمهم تشويه سمعة الآخرين بسهولة يجب ان يوقف ويدان وخاصة بعد حملة التشهير التي استهدفت النيل من نجيب محفوظ عن طريق اتهامه بالسرقة . وقبل ذلك أتهم ارنست همنكواي بانه سرق فكرة (الشيخ والبحر) وقد تناسى هؤلاء حقيقة ان الفكرة التي يمكن تلخيصها بعدة أسطر لا تعني شيئا ذا بال بالنسبة لحركة الادب او الثقافة . ان ما هو مهم في نظرنا هو الشكل الذي تتخذه الفكرة والصياغة التي يقدمها الكاتب بالاضافة الى الوعي العام الذي تضيئه رؤى الكاتب او الشاعر المبدع .

هذا لا يعني أنني اشجع سرقة افكار الآخرين ولكنني لا أريد ان تمر المراهقات الطفولية في الادب بدون ادانة .

بغداد — فاضل العزاوي

ـ تتمة ـ القصص

★★★

سيكون ناقصا (وربما ظالما) ، وسيضيع عليك كثير مما فيها من براعة وحرارة واصالة .

التجربة القاسية التي تعالجها القصة تجربة العرب كلهم مع اسرائيل ، خسارتهم معها ، نكساتهم ... وما يعقب ذلك من أسى يبلغ حد الانهيار العصبي ثم احاديث متعددة ومتشابهة عن الظواهر والاسباب ، ويصحب ذلك ادانة للمسؤولين وعتاب ولوم للاخرين وللنفس واشياء اخرى من هذا الوادي .

اصبحت التجربة او التجارب من هذا النوع حدثا يوميا في حياة العرب المعاصرين ، نعرف مفرداتها كلنا ، ونعرف أسرارها ، ونتكهن بما سيقع بعدها ، ونستعيدها في كل مجلس وفي كل حين ، ويستطيع حتى الصبيان منا ان يعددوا اكثر من سبب وجيه وحقيقي ، ولكن الفن ان تستل المادة الصالحة للفن القصصي ، وان تعرض هذا الذي تستله من الحدث اليومي عرضا قصصيا ـ والفن ان تدل على عمق التجربة في نفسك ، وتبلغ ذورة من العمق عندما تؤمن بانك سبب في النكسة وان الذين يقدمون ويؤخرون حولك ممن هم في مستوى الوصاية او من هم دون ذلك أسباب في النكسة وان فسروا امرا من الامور على هواهم وافهموا امرا آخر تفهيما ساذجا ـ جهلا او تجاهلا او اي شيء من ذلك.

التقى صابر المنسي مع العدو ـ فيمن التقى ، فانتصر العدو، ولاذ بالفرار وعاد الى قريته ، وكان المفروض ان يفرح بنجاته كما فرحت امه ـ مثلا ، ولكنه لا يريد هذه النجاة ، لانها عار ، وكان عليه ان يموت، بل انه لدى التحقيق قد مات فعلا ، اما الذي بقي له بعد المعركة من حياة فليس حياة. واستحال هذا الموقف شعورا عميقا كئيبا ، واستحال الشعور عقدة : عقدة الموت قبل الموت ، انتشرت في ثنايا نفسه وفكره وعاطفته ووجوده ... « لم تكتب لي العودة لاتحدث عن انتصار عدونا ... » ...

وجمال القصة انها عرضت بلقطات بارعات تكون مع بعضها كلا لا يتجزأ ، وجرت على مذهب المنلوج الداخلي لانها لا يمكن الا ان تجري عليه والا فقدت طعمها وعنفها ووقعها وطراوتها .

بدأ المؤلف قصته بنهاية معركة اشترك فيها بطل القصة ـ ولا تحس بفرق بين بطل القصة والقصاص ، وهذا ما يجب ان يكون في مثل هذا الفن ـ ثم عرض ملامح مما يحس في نفسه من آثار الخسارة ، ثم مناظر من بيته وقد عاد اليه وفيه أمه وزوج امه واخوته .. ، وعودة الى الحديث عن المعركة أي الهزيمة وملامح اخرى من حالته واسباب الهزيمة الكبرى والصغرى موزعة على فقر مختلفة واحلام والم . وتنتهي بقرار النهج الجديد من أجل النصر ـ ان اردنا نصرا أي ان كنا جادين، ولا بد من ذلك للنصر ولحل العقد ولتحويل الاسى غير المجدي الى عمل مثمر .

لم يسلك المؤلف تسلسلا منطقيا تاريخيا ، لانه ليس مؤرخا ، ولا باحثا في السياسة او الاجتماع ، وانما سار على منطق الحالة النفسية التي يعانيها وهذه لا تستقر على حال من الماضي او الحاضر او المستقبل . واذا كان هذا فنا ، وفنا بارعا في القصص الحديث : النفسي ، فانه يسبب غموضا لمن يريد الاشياء واضحة ، وتعبا لمن يطلب القراءة سهلة ، وجودا في الحكم لمن اعتاد التسرع بالحكم .

عليك ، اذا ، ان تصبر وانت تقرأ « موت الرجل الذي سبق موته » ، وتصبر وانت تعيد قراءتها باحثا وراء السطور وغائصا على ما ضمته الحروف ، ولا بأس في ان تخرج من قراءتك الثانية ببناء تاريخي جديد ـ صحفي أخباري ان شئت ـ لان ذلك قد يعينك ويعين الآخرين الذين سيقرأونها مرة واحدة او الذين قرأوها ولم يتذوقوها .

وها هي ذي الخلاصة العلمية التقريرية لعشرين فقرة اساسية :

١ ـ صابر منسي عربي .

٢ ـ كان عضوا في مجموعة عربية تدربت على السلاح واعدت نفسها لحرب الصهاينة .

٣ ـ وكانوا على أرض سيناء .

٤ ـ ولمحوا مجموعة من العدو .

٥ ـ فخابوا : « تراجعنا دون ان نخوض معركة » .

٦ ـ وبدأوا يصوغون البيان : « .. وعادت المجموعة الى قواعدها سالمة ... الا واحدا » .

هذا الواحد هو صابر منسي . لقد هرب وعاد الى بيته حيث أمه وزوج امه ... فظنوا انه استشهد فعدلوا صياغة البيان « وشطبوا واحدا » وكتبوا الا شهيدا هو البطل .. « صابر المنسي ».

٧ ـ والخبر غير صحيح ـ كما رأينا ـ وهو مؤلم ، مؤلم جدا لصابر منسي بخاصة . ومن هنا تبدأ القصة ويبدأ الوتر الحساس .

٨ ـ عاد صابر منسي حيا ، وكان الواجب يقتضي ان يموت لدى لقاء العدو ، واذا فهو لدى نفسه قد مات وانتهى ، وليست هذه المدة التي يعيشها الآن بحياة . انه لا يرتضيها ، وانها لمرة أشد المرارة .

٩ ـ ولما عاد سخر من فرح أمه بنجاته ، ومن فرح الآخرين .

١٠ ـ لقد أصبحت الحالة عقدة ، وللعقدة عدة مظاهر ...

١١ ـ ويستعرض أسباب الخسارة ، وتتوزع الاسباب هنا وهناك ترد مناسبة للحالة النفسية التي هو عليها وللمادة التي يستقر عليها فكره الشارد .

وهذه الاسباب هي : أ ـ لم نتدرب على المعارك ... والموت . ب ـ الام .. والاب والاهل ، انهم لم يفهموا القضية ولم يدركوا ابعادها ولم تترك النكسة فيهم أثرا . الام تفرح بسلامة ولدها كان المهم سلامته ، وتلجأ في علاجه الى الرقي وكرامات الاولياء مما لا يقوم على المنطق السليم العلمي في المعالجة ، وزوج الام ، لا هم له الا لعب الكوتشينة في المقهى ... والناس مشغوفون بتفاهات الحياة اليومية . هـ ـ لدينا أسلحة ولكن لم نحسن استعمالها . و ـ كثرة الشعارات . ن ـ كثرة الاناشيد . بقي عامة العرب كما هم كان الامر لا يعنيهم ...

١٢ ـ ثقلت الحالة واشتدت العقدة وتمنى الموت ولم يمت ، واقنع نفسه بقاعدة للموت ـ من انتحار وما اشبه ـ ولكنه لم ينفذ .

١٣ ـ لانه وجد حلا اسلم ونهجا أسمى واجدى ، وبذلك انتقل الى مرحلة جديدة غذاها خبر انتصار الكرامة في الحاضر وانتصار صلاح الدين الايوبي في الغابر : تدريس الموت ...

* * *

جمعت قصة « موت الرجل الذي سبق موته » كثيرا من المحاسن الفنية ، فكل فقرة فيها مدروسة وضعت في مكانها بعد تروٍ وان بدت وكأنها جاءت عفوا ، والصور منسجمة تمام الانسجام والحالة النفسية التي يعانيها « البطل » ولم ترد التعبيرات العنيفة والصور الحادة والالفاظ « المقرفة » مقتسرة مفتعلة منقطعة عما حولها نشازا عما ترتبط به ، وانما هي ذات دلالة وصلة بالجو الذي أثارها وبالجو الذي يراد بها الى ان تثيره ـ وهي كثيرة ولعلك وقفت عند « معي جثة هاربة » و « سجل اللص اعتداءنا على انفسنا باسمه »و« نبت طنين تحت جذور شعري » و « سباق الانسحاب » و « في ساحاتكم يستطيع المرء ان يستعيد صوابه ، ربما يناسب هذا من صدمته مانشتات الصحف في حزيران ، لكني فقدت حياتي لا صوابي « الوحل سد حلقي . انا الآخر انكر صوتي ... احيانا » الى ما هناك مما يثير السخط ويدل على السخرية ويبين عمق التجربة وصدق الموقف .

استبطن الكاتب التجربة وتركها تختمر حتى تكتمل ولم يقسرها على الولادة فتأتي (طرحا) وسقطا . ان القارىء ليقتنع كل الاقتناع بالاتصال التام بين البطل والكاتب حتى انه لا يجد دافعا لان يسأل ما اذا كانت التجربة قد مرت به ـ فعلا . ولم ؟ وكل كلمة تبعده عن هذا السؤال .

والقصة اذ تنجح هذا النجاح موضوعا وشكلا ، فانها تصلح ان تكون تجربة موفقة في النهج القصصي الحديث ـ او الجديد ان شئت، وقلما نجحت قصة فيه . ومن شأن هذا اللون من القصص ان يبدو عليه شيء من الغموض ، وقد وفر كاتب « موتة الرجل الذي سبق موته » هذا الشيء دون مبالغة او اغراق ـ وطبيعي ان يكون هذا الغموض ، لان القصة حالة نفسية وليست سردا لحادثة ، ولان الكاتب يغوص فيها بعيدا عن الحدث اليومي ولا يلجأ اذ يعود من سفرته الى لغة الرياضيات وقواعد المنطق .

انك اذ تقرأ القصة وتعيد قراءتها تلحظ ضبابا ، او « تشويشا » يحول دون ان تحدد ابعادها وتعيد بناء خطتها ـ وهذا جزء من اسرار هذا الفن .

محاسن القصة كثيرة ولا تأخذ عليها اشياء كثيرة او مهمة ، وقد تتمنى لو ان الكاتب قرأها قراءة أخرى ناقدة قبل ان يرسلها الى المجلة فلعله يدرك ـ اكثر من غيره ـ هنة هنا وهنة هناك ضمن مفهومه الفني السليم ، ولعله يبدل ـ حينئذ ـ لفظة بلفظة وجملة بجملة ، ولعله يختصر قليلا في فقرة القلعة والمخابرة التلفونية مع صلاح الدين، ولعله يجعل الخاتمة اقل وضوحا وتقريرا مما جاءت عليه ليتم اتصالها بمجموع اسلاك القصة منتهيا بالبداية الرائعة .

ان الذي كتب « موت الرجل الذي سبق موته » قصاص يدع قارئه يأمل في ان يرى له الاشباه والنظائر وما هو ادل على الكمال .

ولنقرأها ثالثة فقد نجد فيها رموزا وحلا لما يمكن ان تكون رموزا، والا فمن أجل المام بمعانيها وادراك لغتها ...

القصة بقلم محمود حسن العزب .

ـ ٥ ـ

وفي العدد قصة مترجمة ، لا باس بها ، فيها نكهة الطفولة وتدل على مقدرة في المترجم وتطمعنا بالاستزادة .

وكنا نود لو ان المترجم ذكر مصدره واللغة التي ترجم عنها ، وكنا نود لو انه اختار لنا ما هو أعلى من « أحلام » « يوري ناجيبين » ليكون جهده اجدى وعمله انفع .

ذكرت الآداب ان القصة ترجمة رضوان ابراهيم .

بغداد ـ كلية الآداب — **علي جواد الطاهر**

صدر حديثا

اعناق الجياد النافرة

ديوان جديد

لصاحب « في شمسي دوار »

الشاعر الطليعي

فواز عيد

منشورات دار الآداب